أنتم هيكل الله الحيّ

"أنتم هيكل الله الحيّ" لأنكم تمدّون المسيحَ في العالم. أنتم حضوره ومظهرُه في الناس. لذلك بطلت الهياكل القديمة المصنوعة بالأيدي، وصار المؤمنون جميعًا هيكلا للرب تتآزر أجزاؤه، وحجر الزاوية المسيح.

"أكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبا". يتكلّم عن المستقبل. هذا كلام غريب للوهلة الأولى. والحق أن الله ليس إلهًا لنا الا اذا اعترفنا به سيدًا علينا. الله لا يهمّني منه انه نور السموات والأرض، يهمّني انه نوري أنا، ومنقذي أنا، وربي أنا. ولذلك اذا اتصلت أنا به وجعلته سيدًا عليّ بطاعتي له، حينئذ يكون حقًا ربّي لأنه أحبّني ولفت وجهه إليّ.

"تكونون لي شعبًا" اذا عرفتم أنني ربكم، مُلتفت اليكم، عاطف عليكم بالرحمة، مفتقدكم بالحنان والغفران. ليس الأمر أن نُسجّل شعبًا له، أن نحمل هذا الأمر على تذاكر الهوية. الله لا يُسَجّل على ورق. نحن لسنا أُمّته لأنه قيل عنا كذلك، نحن نصبح أُمّة الله وشعب الله اذا توجّهت قلوبنا اليه.

"لذلك اخرجوا من بينهم واعتزلوا، يقول الرب، ولا تمَسّوا نجِسًا، فأقبلكم وأكون لكم أبًا، وأنتم تكونون لي بنينَ وبنات يقول الرب". اذا كان وجهُنا الى الله، هذا يعني أن وجهنا اليه فقط. الله يريدنا كليا، يريد كل كياننا، كل روحنا، كل جسدنا. الله لا يسمح أن نكون لغيره لحظة واحدة. لا يسمح أن نعبد الأصنام. كل وجه نلتمسه من أجل نفسه بالاستقلال عن المسيح هو وجه صنم، وجه عدو. كل ما نشتهيه في هذا العالم، العالم كله، إن فصلَنا عن الله، عن وجه الحبيب الأوحد فهو عدوّ. "اعتزِلوا، لا تمسّوا نجِسًا، فأَقبلكم".

القضية ليست ان نكون ذوي مكانة في الطائفة، فالله لا يُحابي الوجوه. ليس عند الله طبقات. الانسان لله او ليس له. واذا كان له فهو ابنه. يقول الرسول في موضع آخر: "لستَ اذًا عبدًا، ولكنّك ابنٌ، واذا كنت ابنًا فأنت وارثُ الله". الرسول يريد ان نعرف أنفسنا أبناء. وهذا يقوده الى قوله الأخير في رسالة اليوم "تمّموا القداسة بخوف الله". نعم أنتم أبناء، ولكن هذا لا يجعل لكم فضلا. هذا ليس امتيازًا ولكنه يُلقي عليكم واجبا. أنتم أبناء لا لتُسَرّوا بذلك، لا لتفتخروا على الناس، لا لتقولوا انكم أفضل من الآخرين، فالله قادر أن يُقيم من الحجارة اولادًا لإبراهيم. اذا كنتم أبناء فالنير موضوع عليكم لكي تتمّموا القداسة.

عندما نُذكّر أحدًا من الأبناء بواجب روحيّ، يقول: انا لست قديسًا، لا أريد ان أصبح قديسًا، هذه أمور للقديسين. كأن القداسة شيء لفئة صغيرة من الناس، كأنها وقف على الرهبان، كأنها ليست دعوة لنا أجمعين. تمّموا القداسة، هذه دعوتكم. تمّموا القداسة بخوف الله. أيّ خوف؟ ماذا يعني خوف الله؟ "بدء الحكمة مخافة الله". من أراد ان يتّصل بالرب، عليه ان يخاف لأنه علينا أن نُتمّم البرّ بخوف ورعدة. لعلنا اذا فحصنا ضمائرنا بدقّة، بإخلاص، بصدق، نلاحظ أننا لسنا بالضرورة ممن يخافون الله، اننا لا نعيش حسب إرادة الله ونحلّل لأنفسنا الكثير. هل نؤمن ان هناك سماء وملكوتًا وعقابًا أبديا؟ إن كنا نؤمن بذلك حقًّا الى نهاية الإيمان، لا يمكن أن نحيا كما نحيا. تمّموا القداسة بهذا الخوف اولا.

ولكن هناك خوف آخر. "بخوف الله وإيمان ومحبة تقدموا". بعد الخوف المحبة. والمحبة تطرح الخوف الى الخارج كما يقول الرسول الحبيب. الذي يتقدّم لمعرفة المسيح لا يخاف. ومع ذلك يقول الرسول: تمّموا القداسة، ذروة الكمال، بخوف الله. أيّ خوفٍ بصدده نحن الآن؟ نحن نتكلم عن هذا الخوف الذي يصيب المُحبّ عندما يتمنّى أن يبقى مع من يحبّه الى الأبد. المحب لا يريد أن يترك الحبيب. خوفُنا أن يتركنا المسيح. خوفُنا ألا يلتفت الينا. هذا هو الموت الحقيقيّ. هذه هي المصيبة الوحيدة. كل منا يتصوّر أن المصيبة أن يخسر مالا، او صحة، او عزيزا. المشكلة الكبرى، الضربة الوحيدة أن يُهملنا المسيح، وهو مُهمل لنا إنْ نحن أَ هملناه. ولذا يقول الرسول: تمموا القداسة وانتم خائفون. أنتم خائفون أن تكونوا وحدكم، بلا مسيح.

هذه هي أقوال الرسول إلينا لكي نُدرك ان الأمر الجلل أن يكون الله لنا إلهًا وأن نصبح له شعبًا حتى نصل الى القداسة التي من أجلها جاء السيّد الى العالم.

جاورجيوس

مطران جبيل والبترون وما يليهما (جبل لبنان)